ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الجسمية مقصوراً على المساكن
والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا
قارنها خوف الزوال منغّصة غير صافية من شوائب الالم بشّر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة
بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك
ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في
العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه
وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل
مع منازعة من الوهم لان طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت
في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم
كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء
في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار
لما مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وذكر الذباب والعنكبوت وايضاً لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل
ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فقال ان الله لا يستحيي
اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة
الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن
الفعل مطلقاً واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل
كما قيل نسي وخشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي
من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفراً حتى يضع
فيهما خيراً فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه
اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون
مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وأن
بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية
تزيد النكرة ابهاماً وشياعاً وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتاباً ما اي اي كتاب كان او مزيدة
للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع
لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير
قادح

٢١

قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلاً او مفعول ليضرب ومثلاً حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه
لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوهاً اخر ان تكون موصولة حذف صدر
صلتها كما حذف في قوله تعالى تماماً على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين
واستفهامية هي المبتدأ كانه لما ردّ استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى
لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار ودينارين
والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها
عطف على بعوضة او على ما ان جعل اسماً ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به
ردّ ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلاً عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعل فيه مثلاً
وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلاً للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلاً بمنى
خرّ على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله عليه الصلوة والسلام قال ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور على طنب
الفسطاط او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه
حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل ما اجمل وتؤكد ما به صدر
وتتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها
حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظاً وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين
واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكفار على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ
انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه
ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان
عليه ماذا اراد الله بهذا مثلاً يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته
والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسماً واحداً بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها
الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين
غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل انه غير ساه ولا مكره ولا
فعال بغيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح
فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)